



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

اسمحوا لي في بداية هذا اللقاء، أن أعبر لكم عن سعادي البالغة واعتزازي الكبير بالتواجد معكم اليوم برحاب هذه المؤسسة العتيدة، وأنا بين بناتي وأبنائي قضاة، شباب، يبهج القلب عند النظر إلى روح العزيمة والإقدام المتقدمة في محياه، وأول فوج بعد تأسيس المجلس الأعلى للسلطة القضائية يبعث رسائل الثقة والاطمئنان على المستقبل من خلال إرادة توافقة إلى الرقي وخدمة هذا الوطن بكل مسؤولية وتفان وإخلاص.

فهنيئاً لكم بتعيينكم من طرف صاحب الجلالة الملك محمد السادس دام له النصر والتأييد بعد تفوقكم ونجاحكم في اجتياز امتحانات التخرج. ومرحبا بكم، مجموعة مباركة وثلة طيبة ستفخر كل أسرة العدالة بانتسابكم لها وتعزيزكم لصفوفها.

والتهنئة والشكر موصولين أيضا لكل العاملين بالمعهد العالي للقضاء إدارة وقضاة وأساتذة وأطرا وموظفين كل باسمه وصفته على كل ما بذلوه من جهد وعناية لتمر فترة تدريبكم وامتحاناتكم في مستوى الانتظارات والتطلعات، وعلى رأس هذه المؤسسة القاضي الفذ والدكتور المتميز والإنسان بمواصفات الكبار الزميل والأخ الفاضل عبد المجيد اغميحة الذي يستحق منا جزيل الشكر وعظيم الشناء.

زميلاتي زملائي قضاة الفوج 41؛

السنوات الطوال التي قضيناها في محراب العدالة تلزمني اليوم وأنا أفق أمامكم كمسؤول وقاض ووالد، أن أتقاسم معكم الكثير من الأفكار والرؤى وأنا على يقين تام بأني أخاطب أبناء بررة ونفوسا تواقا إلى الأفضل وبدور أشجار قضائية، سامقة، شامخة، سنرى ثمارها في القريب المنظور بإذن الله، وسنفتخر بإنجازاتها، ونعتز بأننا ساهمنا في تكوينها وتدريبها.

أعرف جيدا أن مشاعركم تتزاحم الآن بين الفرح والسعادة بهذا التتويج لمسار طويل من التحصيل والتكوين المضمن الدؤوب، وبين إحساس كبير بثقل المسؤولية والتهيب لما أتم مقبلون عليه، إحساس عميق مسؤول وموضوعي بعظم الأمانة التي ستطوقكم.

فاطمئناوا أبنائي، فهي مشاعر طبيعية ستلازمكم، وستكون دائما دليلكم على أنكم في المسار الصحيح.

أبنائي؛

لا شك أن لكل واحد منكم تصوراته حول ما هو مقدم عليه ولكل منكم خلفيته ومرجعياته ومرتكزاته الروحية والمعرفية والثقافية والاجتماعية التي تنبني عليها شخصيته في خصوصياتها وتفردتها.

لكن اليوم أتم قضاة وهذه الصفة التي ستلازمكم تلزمكم بمجموعة من الضوابط التي ستساعدكم على الانتقال السلس والتحول الهادئ الرزين الواعي من هذه الشخصية الأولى في حالتها العادية إلى شخصية القاضي بكل رمزيتها وحمولاتها وحقوقها وواجباتها.

نعم أتم مطالبون اليوم بأداء رسالة قام بواجبها الأنبياء عليهم السلام وبعض كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض الأعلام من التابعين، وأتم كما أجمع على ذلك العلماء أمام علم من أجل العلوم قدرا وأعزها مكانا وأشرفها ذكرا.

وأي شيء أشرف من محبة الله للمقسطين وهو القائل (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين).

اليوم وبعدهما ستؤدون اليمين وتشهدون الله على صدق ما أقسمتم عليه، ستكونون ملجأ الكبير والصغير، وملاذ الأفراد والجماعات، المواطنين والأجانب، الحسني النية وسيئها، وستعرض عليكم أبسط القضايا وأعقدها وستبتون في

ملفات توصف بالمهمة والخطيرة والحساسة، قضايا ذات صبغة إدارية أو تجارية أو أسرية أو جنائية أو سياسية أو غيرها

لكن بالنسبة لكم سيكون هو نفس الميزان الذي يقدر به الأمور ميزان القانون والعدل والإنصاف مهما كان الخصوم واختلفت الأسماء والقضايا، هو نفس الضمير المسؤول ونفس الجهد والحرص على بذل ما في وسعكم لإنتاج عدالة تليق بهذا الوطن.

زميلاتي زملائي؛

القاضي بحكم طبيعة عمله لا يمكن أن يرضي كل الخصوم، لأن الخصم الذي يخسر دعواه لن يكون راضيا على القاضي، وأذكر هنا المقولة الشهيرة: " نصف الناس أعداء لمن تولى القضاء هذا إن عدل".

أحكامكم ستصدر باسم جلالة الملك وطبقا للقانون فكونوا في مستوى هذا التشريف وهذه الأمانة، لا تنتظروا ثناء أو جزاء من أحد، بل كونوا في إنصات دائم إلى صوت الضمير ونبض القلب المليء بالعدل والإنصاف وتذكروا دائما ما حذر منه صلى الله عليه وسلم من تولى القضاء بقوله الشريف: ﴿من ولى القضاء أو جعل قاضيا بين الناس فقد ذُبح بغير سكين﴾، وكما قال لأبي ذر: ﴿إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها﴾.

لقد اخترتم أن تكونوا أصحاب رسالة لا أصحاب مال وجاه وكونوا من قضاة
الجنة وابحثوا عن لذة الإنصاف والشعور بالرضى بعد ساعة من تحري العدل
ساعة تعدل عبادة ستين سنة، ساعة تتجردون فيها من ذواتكم وأتم تلبسون
بذلة القضاء لتلجوا أحزاب العدالة وانتصارا للمظلوم إحقاقا للحق.

أبنائي؛

لقد ولجتم ميدان العدالة في سياق دقيق وحساس، حيث أننا اليوم
بالمغرب أمام مسؤولية كبرى، ألا وهي التنزيل الديمقراطي للمقتضيات
الدستورية التي أسست سلطة قضائية مستقلة، ووضعت على عاتقها التزاما
أساسيا ألا وهو التطبيق العادل للقانون وحماية حقوق الأفراد والجماعات
وحررياتهم وأمنهم القضائي، وأكدت على القيم القضائية كمنهج وخيار ودعت
القضاة إلى التدخل الإيجابي ومواجهة كل ما يؤثر في استقلالهم وحيادهم تحت
طائلة إثارة مسؤوليتهم. إننا أمام مقتضيات تفرض علينا الحكامة الجيدة وتربط
المسؤولية بالمحاسبة، وتؤسس لمغرب جديد وعدالة جديدة: مغرب المواطنة
والكرامة والحرية والمساواة وعدالة حديثة سريعة فعالة أكثر قربا وإنصاتا وتفهما.

لا شك أنكم مدركون أيضا بأن المعركة اليوم هي محاربة الفساد والسهر على
سيادة القانون وهو ما يقتضي منكم الاستعداد لها بالتسلح بعنصرين أساسيين:
أولهما تكوين قانوني رصين وتجربة وخبرة عملية متميزة.

التكوين يجب أن يبقى مستمرا لأنه يدور بين الحق والواجب ويتطلب منكم التفاعل الإيجابي معه والعمل الجاد الدؤوب والابتعاد عن السلبية والانتظارية من أجل تنمية مداركم وتوسيع ثقافتكم العامة بحيث لا تقتصر على الجوانب القانونية المحضة بل لا بد من ولوج غمار باقي العلوم والثقافات وامتلاك آليات التواصل والتقنيات الإلكترونية الحديثة والانفتاح على المجتمع وثقافته وأعرافه وتقاليده، لتكونوا عن حق خبيري الخبراء ومؤهلين لحل النزاعات والمشاكل واستحقاق التقدير والمكانة التي تليق بكم.

أما الركيزة الثانية، التي لا محيد عنها والتي تعطي للعمل القضائي روحه وقوته وتخول للأسرة القضائية الثقة والاحترام الواجبين لها فهي الأخلاقيات القضائية التي ورثناها جيلا بعد جيل مستلهمين فيها القيم الإنسانية الكبرى، المتعددة المصادر والمداخل من شريعة ومواثيق وإعلانات دولية وإقليمية وتراكمت لعمل قضائي وتقاليد راسخة لم يتم التفريط فيها أو التهاون في الحفاظ عليها.

فتمسكوا أبناءى بهذه القيم الكبرى بقدر تمسككم بالقانون وتأكدوا أنها حصنكم الذي سيقمكم من المزالق ويحمي عملكم من النواقص والشوائب، ولا تترددوا في الاستفادة من تجربة القضاة القدامى في هذا المجال والنهل من معين خبرتهم في التواصل والتسيير والعمل القضائي والإداري وفي تدبير علاقتهم بالمحيط الذي يشغلون فيه.

أبنائي؛

إنكم مقبلون على تغييرات كبرى في حياتكم ومعيشكم اليومي، في علاقاتكم العامة والخاصة وهو ما يقتضي منكم الإسراع بالتأقلم مع هذا الوضع الجديد، ويلزمنا نحن بمدكم بكل الآليات والسبل لتحقيق ذلك.

أکید أن أسركم، أصدقاؤكم، أساتذتكم، محيطكم، عموم الناس ستنغير نظرتهم إليكم اليوم، فصونوا هيبة المهنة وقدسيتها ووقارها وتاريخها والثقة الواجبة فيها.

عين المجتمع ستراقبكم فلا مجال أبنائي للتساهل أو الاستخفاف أو الاستهتار أو التجاوز في مجال الأخلاقيات والقيم والقواعد لأن هامش الخطأ فيها ممنوع وتداعيات الإخلال بها تتجاوز من أخل بها إلى كافة الأسرة القضائية التي يراقبها ويرصد عثراتها الجميع.

أدرك جيدا ما تحسون به الآن من ضغط، لكن يجب استثمار هذه الحالة النفسية كطاقة إيجابية لليقظة والحرص وتجنب الصغائر قبل كبائر المنزقات، سواء في حياتكم العامة أو الخاصة وسواء داخل قاعات المحاكم أو خارجها، ستبقون أتم أنفسكم، القاضي والقاضية صفة تلامزمكم تشرفكم وتطوقكم أيضا بحقوق لها يجب أداؤها دون أي تردد أو تأفف أو ضجر.

أبنائي؛

إن بداية المسار القضائي وولادة قاضية وقاض تبدأ من هنا من رحم هذه المؤسسة العتيدة.

الكثير من التساؤلات والإشكالات من قبيل:

- كيف السبيل إلى تغيير الكثير من الترسبات القديمة للوصول إلى شخصية القاضي الكفاء المتوازن؟

- كيف يجب أن تتعاملوا مع محيطكم من قضاة وكتاب ضبط ودفاع ومساعدى العدالة وجمعيات مدنية وحقوقية وعموم المرتفقين؟

- كيف يمكنكم الاندماج وسط مجتمع ضيق في مركز قضائي أو دائرة قضائية صغيرة دون الوقوع في شبهة علاقة تمس بالنزاهة أو بالثقة الواجبة فيكم؟

- كيف ستعاملون مع الملفات التي تعهد لكم بالدراسة والتحضير والمداولة؟

- ما هي حدود السرية والتحفظ الملزمون بها؟

- كيف ستعاملون مع الدعوات التي ستنهال عليكم لحضور حفلات أو لقاءات سواء من محيطكم المهني أو العائلي أو غيره؟

- ثم ما هو المباح والمحظور في شبكات التواصل الاجتماعي؟

- هل كل الصور والأخبار والأوضاع قابلة للنشر على الصفحة الفيسبوكية؟

- هل كل القضايا التي تكون محل نقاش عمومي والتي تأخذ أبعادا سياسية أو حتى قانونية وقضائية يجوز التعليق عليها؟

- ما هي الأساليب التي يتعين التعامل بها لمواجهة الضغط الذي سمارسه أحيانا الرأي العام المحلي والوطني؟

- ما هو الفرق بين الشجاعة الأدبية وعدم الاتزان والتهور؟

- كيف سيكون بإمكانكم أبنائي ممارسة أنشطتكم غير القضائية دون تعارض مع واجباتكم المهنية؟

أسئلة كثيرة جدا، هي من صميم واقع ستعيشونه وتحديات أخلاقية وقانونية ستواجهونها وهي التي ستبرز لكم أهمية اللجوء إلى الأخلاقيات القضائية، وإلى القيم الكبرى التي ترسخت عبر السنين، إشكاليات كما ترون تبرز أهمية تنزيل هذه المثل على أرض التطبيق والممارسة، لتعرفوا أن الأمر جدي ومركزي في ممارسة هذه المهنة وأداء هذه الرسالة.

لهذا ستجدوننا دائما حريصين كمجلس أعلى للسلطة القضائية على التجاوب مع كل انتظاراتكم وتساؤلاتكم بكل ايجابية وفعالية وحزم.

زميلاتي زملائي،

ما أحاول إيصاله لكم اليوم في هذه الكلمة المختصرة تأكدوا أنه ليس مجرد موعظة شحن النفوس أو توصيات نرجو بلوغها، بل هي التزامات دستورية

وقانونية منصوص عليها سنحاسب من أجلها مجتمعيا وتأديبيا، وأذكركم في هذا المقام بما أكد عليه جلالة الملك محمد السادس نصره الله في خطابه بمناسبة عيد العرش بقوله السامي: ﴿إذا يتعين على الجميع التجند لتحقيق إصلاح شمولي للقضاء لتقرير استقلاله الذي نحن له ضامنون. هدفنا ترسيخ الثقة في العدالة وضمان الأمن القضائي الذي يسير عبر الأهلية المهنية والنزاهة والاستقامة، وسيلتنا حرمة القضاء وأخلاقياته ومواصلة تحديثه وتأهيله﴾... انتهى النطق الملكي.

مكتبي مفتوح لكم على الدوام دون قيد أو شرط سواء في أموركم الخاصة أو المهنية ولا تترددوا في مقابلي كلما احتجتم ذلك وأوصيكم بحكمة النقض فهي البيت الوقور الذي يلجأ إليه كل طالب علم وراغب في الاستزادة من الاجتهاد والعمل القضائي الرصين بها مدارس قضائية وقامات علمية بدأوا مثلكم لكنهم شقوا طريقهم بالأخلاق والعلم والثبات على الحق فنعم القدوة والنموذج.

فهنيئا لكم مرة أخرى كأول فوج في عهد المجلس الأعلى للسلطة القضائية ودعائي بالتوفيق والسداد.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الرئيس المنتدب للمجلس الأعلى للسلطة القضائية

الرئيس الأول لمحكمة النقض